

## طرابلس مختبر تفاقم الأزمات اللبنانية

د. خطر أبودياب  
استاذ العلوم السياسية المركز  
الدولي للجيوبوليتيك - باريس

تشهد مدينة طرابلس عاصمة شمال لبنان منذ بداية هذا الأسبوع مواجهات واحتجاجات بدأت رفضاً للإغلاق الكامل بسبب جائحة كورونا، وعدم وجود بديل معيشي ومساعدات لسكان هذه المنطقة الأكثر فقراً في البلاد. لكن تحول "الثورة الاجتماعية" إلى أعمال تخريب وخرق واستباحة لأمم المدينة وأملاتها، طرح تساؤلات عن أسباب التصعيد والغارات في تنسيق القوى الأمنية ومحاولة توظيف غضب وسخط الناس في تصفية الحسابات بين أطراف المنظومة الحاكمة، من دون إهمال العاملين الخارجي والمتطرف في هذه المدينة التي كانت أكثر من عانى خلال عدة فترات من "الحروب اللبنانية" إبان الوجود العسكري السوري وبعده. وإذا كانت طرابلس اليوم بمثابة المؤشر أو المختبر لتفاقم أزمة ثلاثية الأبعاد صحية واجتماعية وسياسية، فإن أحداثها تدل على كل شيء على صورة البلاد في هذه المرحلة وما تنطوي عليه من مخاطر الفوضى والانهايار وتفكك القوى الأمنية و"الأمن الذاتي" في ظل عهد محاصر وفراع حكومي وبؤس اجتماعي، ودوام انتظار سراب التسويات الخارجية بعد تركيز إدارة بايدن.

سبتمبر 1975 اندلعت الجولة الثالثة في الشمال وكان بين المشاركين أنصار رئيس الجمهورية حينذاك سليمان فرنجية من جهة وأنصار كرامي من جهة أخرى، ومنذ ذلك الحين أخذت سموم الفتنة الطائفية والتدخل الخارجي تلوث لبنان. وخلال حقبة السيطرة العسكرية السورية على لبنان كانت طرابلس دوماً في عين العاصفة، وعانت من مساعي التكريع وسط وجود صراعات عربية -عربية شاركت فيها القوى الفلسطينية والعراق حينها. وخاض الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات آخر معاركه اللبنانية في طرابلس عام 1983، وكان خصمه الأساسي فيها دمشق. واستمرت تصفية الحسابات على الساحة الطرابلسية في منتصف الثمانينات، وتعرض حي باب التبانة الشعبي لقمع منهجي ومجازر، وفي تلك الحقبة قضى رشيد كرامي اغتيالاً لكن بعد بدء تنفيذ اتفاق الطائف، تسنى للرئيس الراحل رفيق الحريري الاهتمام بعاصمة الشمال قدر الإمكان وحسبما كان يسمح الوصي السوري. ومن المفارقات أنه بعد انسحاب القوات السورية من لبنان في 2005، بقيت طرابلس وجوارها تحت الضغط وخاصة عبر التسلل الإرهابي المبرمج في 2007 إلى مخيم نهر البارد تحت يافطة "فتح الإسلام" الذي انهزم بفضل الجيش اللبناني وتضامن أهل الشمال وبتيار المستقبل معه. لكن ذلك لم يردع إصرار أنصار النظام السوري على استخدام سبله لهذه الساحة مع بدء دخول حزب الله على الخط تحت عنوان "سرايا المقاومة"، وشهدت طرابلس قتالاً داخلياً بين حثي جبل محسن المدعوم من المحور السوري - الإيراني وباب التبانة، وتوقف ذلك بعد تسوية الدوحة في 2008، ولكنه عاد واشتعل بعد بدء الحرب السورية في 2011. ومنذ أكتوبر 2019 إثر انتفاضة الحراك الثوري، كانت طرابلس "عروس الثورة" وركناتها الأساسي، لكن موقعها في الأطراف يدفع بالفريق المسيطر على الدولة أي حزب الله والتيار العوني إلى استغلال انقساماتها والسعي لتغذيتها، ويصل الأمر ببعض إلى محاولة الترويج لجزلها وعقابها.

مما لا شك فيه أن غياب مرجعية سياسية ممثلة للمدينة يجعلها أكثر وعرضة للاحتراق والاستخدام. وإذا كانت كل المنظومة الحاكمة المنتهية الصلاحية تتحمل المسؤولية في وصول البلاد إلى الوضع الحالي وانفجار أوضاع طرابلس، لكن الانسداد الموجود على رأس السلطة لجهة تشكيل حكومة جديدة، يؤشر على مسؤوليات متصلة بالإصرار على المحاصصة رغم بدء سقوط الهيكل على رؤوس الجميع. وبلغ السيل الزبني مع فتح المعركة الرئاسية في 2022، وذلك في سياق مشهد سريالي ضمن بلاد الغرائب اللبنانية. وكان البعض ينتهم أطرافاً داخلية بتحريك الشارع لتحصين مواقعها، أو التخويف بالفوضى لترميز انقلاب وفرض الأمر الواقع من قبل فريق رئيس الجمهورية، ويراود الشك بعض الأوساط أن جبران باسيل المعاقب أميركياً والذي أخذت فرصه الرئاسية تضع، مصمم على ضرب منافسيه المقترضين وأولهم حاكم المصرف المركزي رياض سلامة تحت عنوان "التدقيق الجنائي"، وثانيهم قائد الجيش العماد جوزيف عون من خلال أفخاخ مثل إدارة أعمال الشعب في طرابلس. وتتوافق القيادات الطرابلسية على طلب إقالة المحافظ رمزي نهر المقرب من باسيل لتقصيره الكبير. بالإضافة إلى العاملين الاجتماعي والداخلي السياسي، ليس من المستبعد أن تكون عوامل خارجية وراء تحريك الوضع في طرابلس لأن لبنان خاضع لتغيير المعادلات الإقليمية، ولأنه بالرغم من التجاذب الداخلي، توجد في خلفية المشهد رغبة إيران ومحورها في الإسماع بالورقة اللبنانية كي يكون محل مساومة أو جائزة ترضية كما كان يحصل في مرحلة الوصاية السورية، وكان البعض يريد التهويل بإمارة داعشية (كما حصل في نهر البارد من قبل) وتكرار التجربة من بوابة هز الاستقرار عبر ساحة طرابلس ومختبرها.



## طرابلس قلب لبنان الأكثر فقراً

عديده نطار  
كاتب لبناني

كان المشهد صادماً، بل مرعباً حين بادرت عناصر من مكافحة الشغب إلى إطلاق رصاصات من الرصاص الحي مباشرة على جموع المتظاهرين الذين قاموا بهجمة مرتدة دفعت بهذه العناصر إلى التراجع. جرى كل ذلك على مدى آلاف المشاهدين عبر شاشات النقل المباشر من ساحة عبد الحميد كرامي، ساحة النور، بطرابلس في الليلة السادسة من ليالي وأيام الاحتجاجات الأخيرة المتواصلة ضد تمديد فترة الإغلاق العام بداعي مواجهة وباء كورونا. وجاء بيان قوى الأمن الداخلي مباشرة بعد ذلك ليبرر الجزرة المرتكبة من قبل عناصرها وليسهم بوضوح في حملة قوى السلطة الهادفة إلى شيطنة المدينة وانتفاضتها التي هي بمثابة القلب أو الرئة التي لا تزال انتفاضة السابع عشر من أكتوبر اللبنانية تنفخ من خلالها. فقد ادعى البيان أن الرصاص استخدم بعد أن ألقى محتجون قنابل على عناصر قوى الأمن في سراي طرابلس الحكومية، في حين أن إطلاق الرصاص حدث في ساحة النور البعيدة نسبياً عن السراي وعلى مدى الجميع دون أن يكون هناك أي اعتداء مباشر من قبل المحتجين يدعوا إلى رد فعل ويسمح لرجال الأمن بالتصويب المباشر على مواقعهم، أو التخويف بالفوضى لترميز انقلاب وفرض الأمر الواقع من قبل فريق رئيس الجمهورية، ويراود الشك بعض الأوساط أن جبران باسيل المعاقب أميركياً والذي أخذت فرصه الرئاسية تضع، مصمم على ضرب منافسيه المقترضين وأولهم حاكم المصرف المركزي رياض سلامة تحت عنوان "التدقيق الجنائي"، وثانيهم قائد الجيش العماد جوزيف عون من خلال أفخاخ مثل إدارة أعمال الشعب في طرابلس. وتتوافق القيادات الطرابلسية على طلب إقالة المحافظ رمزي نهر المقرب من باسيل لتقصيره الكبير. بالإضافة إلى العاملين الاجتماعي والداخلي السياسي، ليس من المستبعد أن تكون عوامل خارجية وراء تحريك الوضع في طرابلس لأن لبنان خاضع لتغيير المعادلات الإقليمية، ولأنه بالرغم من التجاذب الداخلي، توجد في خلفية المشهد رغبة إيران ومحورها في الإسماع بالورقة اللبنانية كي يكون محل مساومة أو جائزة ترضية كما كان يحصل في مرحلة الوصاية السورية، وكان البعض يريد التهويل بإمارة داعشية (كما حصل في نهر البارد من قبل) وتكرار التجربة من بوابة هز الاستقرار عبر ساحة طرابلس ومختبرها.

حزب الله وحلفاءه وأبواقه الإعلامية عبر الصحف المأجورة والشاشات التابعة والمحققة وغير وسائل التواصل الاجتماعي، لم تتوقف منذ فجر انتفاضة 17 أكتوبر 2019، التي مثلت فيها المدينة بحق أيقونة الثورة وعروسها بقائنها وسلميتها وبمشاركة كثيفة من أبنائها وبناتها. وإن اعتبر طرابلس صندوق بريد لهذه الجهة السياسية أو تلك للضغط من أجل تحسين شروطها حيال القوى السلطوية الأخرى أو الحديث عن تجنب استغلال انتفاضتها لأهداف سياسية من هنا أو هناك، هو بحد ذاته محاولة لتشويه هذه الانتفاضة ولشيطنة المدينة وأهلها. وإذا نظرنا إلى المدينة خلال اليومين السابقين نجدها كمدنية محققة، تحولت شوارعها وساحاتها إلى تكتات عسكرية مدججة بالآليات والأسلحة ما جعل الدكتور أحمد السويبي يقول عبر صفحته على فيسبوك "لو أرسلتم الجيش إلى الحدود لوقف التهريب، بدلاً من إرساله إلى طرابلس لقمع الجائعين، لوفرتهم 4 مليارات دولار في العام على الخزينة كانت كافية لمعالجة مشاكل الفقر في لبنان".

وحيث إن إطلاق النار المباشر على المتظاهرين في طرابلس أدى إلى سقوط شهيد وعدد كبير من الجرحى، فإن توقع المزيد من الهجمات بات شبه مؤكد، ليس في طرابلس وحدها بل في جميع المناطق اللبنانية. اللبنانيون في المعاناة وفي الانتفاضة سواء. وهنا، على القيادات الأمنية وعلى قيادة الجيش أن قاعدتهم الانتخابية. عملياً، طرابلس عزلتهم فجاءوا ويحاولون عزلها لتجويعها وتركيح أبنائها وإعادةتهم إلى المنظومة الزبائنية والانتخابية التي تمردوا عليها ورفضوها منذ ما قبل 17 أكتوبر.

الإغلاق ثم تمديداتها كانت فرصة للتجار وجشعهم في مضاعفة أسعار السلع الأساسية أو إخفاؤها ما جعلها بعيدة عن متناول الكثيرين، ولا من حسب أو رقيب. كيف يمكن إقناع من يتصورون جوعاً بالخضوع لقرارات سلطة تتشرع حدود البلاد لتهريب المواد الأساسية التي هم بأمس الحاجة إليها والمدمومة من أموال الناس وهم يشاهدون باعينهم قوافل الشاحنات والصهاريج تعبر الحدود؟ وكان النظام الاقتصادي الريعي الذي أتبعه ائتلاف القوى المسيطرة منذ الوصاية السورية والذي اتسم بالفاشية المفرطة، قد أدى إلى احتكار الثروة بيد أقلية ضئيلة تقبض على السلطة وعلى مفاصل مؤسسات الدولة في حين تضاعفت فرص العمل أمام الشباب وازدادت نسب البطالة فاندحر أغلب اللبنانيين باتجاه خط الفقر ونسبة كبيرة منهم إلى ما دون خط الفقر.

وكان لطرابلس، المدينة الثانية في لبنان من حيث الثقل السكاني والتاريخي، النصيب الأكبر من نتائج هذه السياسات حتى وصفت بأنها المدينة الأكثر فقراً على شاطئ المتوسط، في حين يتربع بضعة من أبنائها لا يتجاوز عددهم أصابع اليد، على قمة أثرياء هذا الشاطئ. وهذا وحده كان كفيلاً بتأجيج الغضب لدى أبناء المدينة ودفعهم دفعا إلى الثورة. حملة شيطنة المدينة والتحريض عليها من قبل قوى السلطة وخصوصاً

